

يؤمن الحكمة من يشاء ومن يؤمن  
الحكمة فقد أتى خيراً كثيراً وما  
يذكر إلا أول الألباب

المجلد الخامس عشر  
١٣١٥

فيؤمن عباده الذين يستمعون القول  
فيؤمنون أحسنه أولئك الذين هداهم  
الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « متاراً » كسار الطريق )

( مصر في يوم السبت غرة ربيع الثاني سنة ١٣١٥ - ٢٨ يولييه (تموز) سنة ١٩٠٠ )

## هانوتو والاصلاح الاسلامي

ألم المسلمين من مقالات هانوتو . عظمة امر فريضة الحج . رأي كيمون في  
نسف الكعبة ونقل القبر المعظم عليه كثيرون من الاوربيين . حاجتنا الى معرفة  
رأى الاوربيين فينا . وفاء كتاب الاسلام الذي عربيه فتحى بك زغلول بهذا الغرض .  
اوربا والاسلام . خطأ الاوربيين في اتهامهم ايتنا بالسبي في ان يكون لنا حكم واحد .  
قولهم ان الدين الاسلامي يحول دون تقدم المسلمين . مناقشة هانوتو في رده على  
كيمون . الفصل بين السلطين السياسية والدينية . سيرة فرنسا في الجزائر وتونس .  
النسبة بين الصلاة والحج . المساواة في الاسلام . حقيقة اثر الاسلام في التقدم والتأخر .  
الرأى في ازالة سوء التفاهم بين اوربا والمسلمين

نشرت مقالات هانوتو في (الاسلام) فما بلغت البلاد الاسلامية  
الا وقامت لها وقعدت وأشد ما أمضها منها وجرح وجدانها هو ما نقله  
عن (كيمون) من التحريض على نسف الكعبة المكرمة ونقل القبر المعظم  
الى تحت اللوفر ومن وصف الاسلام بالاصاف القبيحة الشائنة وما  
صرح هو به من رغبة اوربا في الحيلولة بين المسلمين وبين اداء فريضة الحج

التي هي من اركان الدين الاسلامي لا من اعماله المندوبة او المستعجة ولا من الواجبات المخبر بها المكاف . ولو ان ماجاء في تلك المقالات هو رأي كيمون وحده او رأيه ورأي هانوتو معاً لما كان لنا ان نلقي اليه بالاً او ننده بلاءً ووبالاً ولكنه رأي الكثيرين من الكتاب والسياسيين . ومن البلاء الاكبر اننا نجعل هذا وهو من اسوأ أنواع الجهل واقبحها واشدها ضرراً ووخامة عاقبة لأن بنص الامم الاوربية واحتقارهم لنا ماجاء الا من هؤلاء الكتاب والسياسيين القابضين على ازمة النفوس والمتصرفين في الوجدانات والعقول . وقد دفقنا صرارة هذا البنص والاحتقار وربما كان ما سنلاقيه من الألاق (الدواهي) اشد مما لاقيناه في الماضي

علم عقلاؤنا شدة حاجتنا الى الوقوف على اعتقاد الاوربيين فينا فقام صاحب المهمة العلية والغيرة المالية احمد فتحي بك زغلول رئيس محكمة مصر بترجمة كتاب من الكتب التي ألفوها في الاسلام (١) ليكون عبرة لنا وباضاً لملامتنا وكتابنا على الدفاع عن حقيقتنا ببيان حقيقة الاسلام لهم ليزول سوء التفاهم وباصلاح شؤوننا حتى لا يكون لهم حجة علينا فلم يكن من بعض اصحاب الأنظار القصيرة والآراء الافية الا ان نفروا ونفروا من قراءة الكتاب المذكور زعماً منهم ان تعظيم الدين ومن جاء به انما يكون بجهل ما يقوله خصماؤه فيه وما يريدونه من السوء به ومن هؤلاء الاغرار من خطأ المؤيد بنشر ترجمة مقالات هانوتو الاخيرة

(١) هو كتاب عنوانه ( الاسلام — خواطر وسوانح ) من تأليف الكونت هنري دي كاستري وهو من احسن الاوربيين الذين كتبوا في الاسلام رأياً واحسنهم فيه فهماً واعتقاداً واحسنهم عنه دفاعاً ولكنه يعرفنا جميع خطأ المخطئين وعيب العائين

دع هؤلاء الغافلين في جهلهم الذي سموه تنظيمًا وهلم بنا للبحث في هذا الموضوع الذي هو اهم مصالح الاسلام والمسلمين - موضوع العلاقة بين اوربا والاسلام وما يريد القوم منا وما نريده منهم وما نريده من انفسنا تجاههم . تهم اوربا كتاب المسلمين بانهم قاموا في هذه السنوات الاخيرة يطالبون اخوانهم في جميع اقطار الارض بالاتحاد والاجتماع تحت راية واحدة والسعي في ان يكون حاكمهم كلهم واحداً منهم فجزبها هذا الامر وأهمها لان غايته نزع المستعمرات الاسلامية من مخالب الدول المسيحية وقد كتبنا في الجزء الحادى عشر من هذه السنة مقالة عنوانها (اوربا والاصلاح والاسلامى) بينا فيها ان كتاب المسلمين لا يطالبونهم في هذه الايام الا بمجاعة الام الحية في العلوم والاعمال وما خطر على بال احد منهم ان يحضهم على السعي في ان يكون لهم حاكم واحد وكل يعتقد انه لا سبيل الى ذلك . والآن نعيد القول بمناسبة ما جرى بين موسيو هاتونو وسعادة باشا تقلا ونشر في جريدة الاهرام منذ ايام . وأهم ما في تلك المذاكرة امور

(احدها) قول هاتونو للبasha « أنا لم أكتب الا الى ابناء وطنى الفرنسيين ولم استشهد بكليون وهو يونانى الجنس الا لأفند اقواله التي لم ينفرد بها فان كثيرين من الكتاب الالمانيين والفرنسيين والانكليز وغيرهم حذوا حذوه وقالوا قوله وخلاصة كتاباتهم ان تقدم المسلمين مستحيل ونجاحهم بعيد لان الاسلام معقدهم يحول دون ذلك وحجة هؤلاء واحدة وهى انه كلما تقدمت اوربا تأخر الشرق لان الواقع يتأخر بقدرو ما يسير الماشى وان كل حكومة انفصلت عن الشرق سارت على

منهاج أوروبا علما ومندية فنجحت مع ان العثمانية وافغانستان ومراكش  
والعجم لا تزال على ما كانت عليه في السنين القابرة وانا ذكرت من هؤلاء  
الكتاب كيون وحده ليعرف المسلمون ما يقال عنهم ولا أفند مزاعم هذا  
الرجل وغيره من الكتاب الذين على رأيه لا اعتقادي ان الاسلام لا يحول  
دون الاصلاح والمدنية واستشهدت على صحة معتقدي هذا بتونس فذكرتها  
مثالا أو يدبه اقوالى وسياسى. هذه هي روح كتابى السابقة وانها ستكون  
روح اللاحقة » ثم ذكر أن مفزى كتابة هؤلاء لا تخرج عن اعادة  
الكراآت الصليبية . ونحن نقول انه لم ينفذ رأي كيون الا من هذه الجهة  
جهة التعريض على الحرب الصليبية لما في ذلك من الخطر على العالم كله فان  
مناوأة ثلاثمائة مليون مسلم ( او مجنون كما يقول كيون ) يتمنون الموت في  
سبيل الدين ليس بالاصر الهين والسهل . ولكن فلسفته في عقائد الدين  
الاسلامي كان من معناها ان المسلمين او الساميين عامة لا يمكن ان يجاروا  
المسيحيين او الآريين لأن طبيعة عقائدهم لاسيا القضاء والقدر تحول  
دون ذلك . وذكر ان تمسك المسلمين بدينهم المقتضى للتأخر يسهل على  
اوربا ان تحل رابطته وتفصم عروته واستشهد على هذا بان فرنسا تمكنت  
من فصل تونس عن مكة وذلك بمنع اهلها من أداء فريضة الحج الشريف  
( ثانيا ) مسألة الفصل بين السلطة الدينية والسلطة السياسية وهي اهم  
المسائل التي تطلبها اوربا من المسلمين . والجراؤد التي تدعو الشرقيين او  
المسلمين الى مندية اوربا تجتهد في اقامة الحجج على ان النجاح موقوف  
على هذا الفصل وربما كان فيهم من يعتقد ذلك حقيقة وقد كتبنا في هذا  
غير مرة ومن ذلك مقالة عنوانها ( الدين والدولة والخلافة والسلطنة ) بلعنا

ان قناصل الدول في القاهرة ترجعها وارسلوها الى اوربا . وليس من غرضنا الآن الا مناقشة موسيو هانوتو للوقوف على حقيقة مراده . قال في حديثه مع تقلا باشا بعد كلام في المسألة « وهذا ما نريد تأييده نحن الفرنسيين في مستعمراتنا بان يكون الامر المطلق للسلطة الحاكمة مع احترام عقائد الشعوب الذين تحت حكمنا وسلطتنا وهو ما سرنا عليه في الجزائر وتونس وغيرها من المستعمرات الفرنسية » ونحن نقول ان المسلمين يكتفون من الفرنسيين وغيرهم من المتسلطين عليهم من الاوربيين بان لا يتعرضوا لشيء من امور دينهم ولكن الفرنسيين منعوا الحج من القطرين واستولوا على الاوقاف ومنعوا حقوق الحرمين الشريفين منها . وذكر العلامة الشيخ محمد يرم في رحلته ( صفوة الاعتبار ) انه لم يبق في مدينة الجزائر الا اربعة جوامع . ولقد عارض الباشا هانوتو مذكراته بان اهل الجزائر غير راضين عن فرنسا فاعترف بذلك ووعد بالكتابة فيه واكد القول بان اهل تونس راضون باصلاح فرنسا بلادهم لاحترامها جوامعهم وعقائدهم واحوالهم الشخصية وهي راضية منهم باحترام سلطتها السياسية . واذا كان هذا القول صحيحاً فما هو الا لانهم يعتقدون ان منع الحج امر عرضي مؤقت الغرض منه المحافظة على الصحة وانهم يتوقعون في كل عام الاذن لهم باقامة هذا الركن الاسلامي العظيم . فاذا علموا بعد ذلك بان الغاية منه فصل تونس عن مكة فلا يمكن ان يرضى منهم واحد بذلك ولا بد ان تظهر آثار السخط عليهم اجمعين اذ لا فرق عندهم بين ان يمنعوا من دخول المساجد لأداء الصلاة وبين ان يمنعوا من دخول الحرم الشريف لأداء الحج بل المنع الاخير اشد جناية على الدين لان الصلاة يصح ان

تؤدي في البيوت والطرق وكل مكان واما الحج فلا يصح الا في مكة المكرمة . فاذا كان ما يقوله موسيو هانوتو حقاً فاعلى حكومته الا ان تثبت بازالة المنع من الحج وبدون هذا لا يمكن ان يصدق هذه الاقوال احد من قارئها على انهم اقل القليل . ان الامة الاسلامية اصبحت اسوأ اعتقاداً بفرنسا من سائر الدول بسبب منع الحج لاث لاهل الجزائر وتونس شتوفاً خاصة في بلاد الحجاز تستلفت اليهم جميع الشعوب الاسلامية وذلك في اجتماعهم ومدافعة بعضهم عن بعض وكلامهم وعاداتهم وقد نقل اليها انهم اقتقدوا بعد المنع في عرفات لاسيما في هذه السنة وكان حديث الحجاج ان فرنسا منعهم من اداء فرضهم غلوا في التعصب على الاسلام يسهل على هانوتو وغيره ان يقنع بعض من يقرأ كلامه من المسلمين بالادلة النظرية على حسن قصد فرنسا بمنع الحج في هذه السنين ويتعذر عليه وعلى كل احد ان يقنع العالم الاسلامي بذلك ولكن يسهل على فرنسا هذا الاقتناع بازالة المانع كما قلنا

(ثالثها) قول موسيو هانوتو ان اوربا لاتسمى الا لمصلحتها السياسية وانها ستفق على المسائل الشرقية اتفاقها الآن على دولة الصين وان من جهل كتابنا التحيز للامساكين لنكاية الانكايز والانتصار للفرنسيين على الالمانيين (مثلاً) وهذا القول صحيح وهو موضع العبرة لمن يفتبر والمظة لمن يعقل وقد بالغ هانوتو في تبرئة اوربا من التعصب الديني على المسلمين وخطأ الذين يدعون هذا محتجاً بحرب القریم وغيرها فاذا سلم له المسلمون احتجاجه وقالوا اننا لاثقة لنا باوربا ولا يمكن ان نأمن لها ونطمئن بوعودها لانها طامعة في بلادنا وعاملة على نزع استقلالنا بعامل المصلحة والسياسة

لا بمامل الاعتقاد والدين فهل يمكن لهانتو ان يزيل هذا العذر بفصاحته بعد ما اثبت اسبابه بصريح قوله ؟

(رابعها) قول تقلا باشا لهانتو « المسلمون يعتقدون ان مصلحة اوربا المسيحية تخالف مصلحتهم الاسلامية ولذلك لا يأمنون على انفسهم من سياسة الدول المسيحية وقد أدى بهم فقدان هذه الثقة الى ان لا يأمنوا مسيحياً عثمانياً ولو اخلص لهم الخدمة وصدق معهم » قوله هذا مبالغ فيه فان المسلمين كانوا ولا يزالون يقدرون المسيحيين المناصب المالية ويشقون بمن يصدق ويسير بالامانة وانظر كيف كان رستم باشا موضع ثقة الامة الاسلامية وامامها الاعظم السلطان عبد الحميد وانظر الى كثرة الموظفين في الدولة العلية من الارمن على خيانتهم وثوراتهم المتتددة وانظر الى الحكومة المصرية كيف كانت تقدم المسيحيين ولو غرباء على المسلمين المصريين اصحاب البلاد ولكن تكرار الحياة يعلم البليد الحذر

(خامسها) قول موسيو هانتو انه كان يجب على المسلمين الذين عركتهم حوادث السنين او الذين درسوا في اوربا ان يهتموا بنشر العلوم المصرية في بلادهم وان يسعوا في ازالة سوء التفاهم بين الشرق والغرب بأن يتلو اوربا في الاجتهاد والاقدام كما فعلت اليابان . ومن الاسف ان هذا الرجل على سعة معارفه باحوال عصره لما يدر بان عقلاء المسلمين وكتابهم قد جعلوا كل عنايتهم في هذا الامر النافع وقد صدق في قوله ان التعليم لا يفيد اذا لم يصحبه التهذيب وفي قوله ان المتعلمين في اوربا منا ربما كانوا اكثر من الذين تعلموا فيها من اليابان ولكن ظهرت في اليابان نتيجة لم يظهر مثلاً عندنا

(سادسها) ما ختم به قوله من ان النجاح مشروط « بخدمة الوطن خدمة منزهة عن كل غاية شخصية او مذهبية » (قال) لان الوطن الواحد قد يجمع أكثر من عنصر ومعتقد ولكن الاعتقاد وحده لا يجمع الا عنصراً واحداً - الى ان قال - لهذا كانت الرابطة الوطنية اعم وأشد من الرابطة الدينية وهي التي كانت قاعدة اوربا وبها تقدمت وتقدمت ونجحت » ونحن نقول ان هذا القول لا يصدق على الدين الاسلامي فان الرابطة الاسلامية لها طرفان طرف روحي يضم ابناء الدين ويجمعهم اخوة بعضهم اولياء بعض في الدين وطرف مادي اجتماعي يضم مع المسلمين غيرهم من العناصر ما عدا المحاربين الذين لا عهد لهم ويجعل الجميع سواء في الحقوق لا يفضل المسلم مهما كان عظيماً على غير المسلم مهما كان حقيراً وبهذا يمكن ان تبنى البلاد وتوسع العباد وقد اوضحنا هذا المبحث في مقالة نشرت في المجلد الثاني من المنار عنوانها (الجنسية والدين الاسلامي) ونوّهنا به في مقالات أخرى كثيرة .

ولا يمكن لكتاب المسلمين ان يجعل كل واحد منهم ارشاده لاهل بلاده خاصة لان تأخيرهم لم ينسب الى بلادهم وانما هو منسوب الى دينهم وهم يوافقون كتاب اوربا على قولهم ان للدين اقوى الاثر في هذا التأخر ولكنهم يخالفونهم في وجهه فاولئك يزعمون ان طبيعة الدين تقتضي هذا ونحن نوقن ان طبيعته تقتضي التقدم وان التأخر ما جاء الا من الانحراف عن سننه ولبسه كما يلبس القروى مقلوباً (كما قال الامام علي كرم الله وجهه) وقد بينا هذا من قبل في مقالات كثيرة ولكن صوتنا لا يصل الى هانوتو وامثاله من السياسيين والكتاب الاوربيين ولا ينقل لهم الوسطاء بيننا



وبينهم الا اقوالاً مقتضبة مختزلة يستثيرون بها إحتهم عاينا ولو نقلوا اليهم  
كتابة من يعتد بكلامهم ويوثق بمزقهم للاسلام لقبيله المنصفون وزال  
سوء التفاهم الذي نمتناه كما نمتناه هانوتو وغيره من العقلاء او أشد تمناً وربما  
كان فيه الخير للفريقين فعسى ان نصل الى هذه الامنية بالجرائد الشرقية  
التي تنشر باللغات الاوربية كماؤيد الفرنسي في مصر ومحمدان ومسلم  
كرونيكل في الهند وغيرها من الجرائد المسحية المنصفة والله يجزي المحسنين

## باب التربية والتعليم

﴿ باب الولد من كتاب أميل القرن التاسع عشر ﴾

(١٠) من اراسم الى هيلانه في ٣ يونيه — ١٨٥

ان معظم من كتبوا في علم التربية يغالون باصول علم الاخلاق ويرفعون  
من شأنها وانا مثلهم اعتقد ان المواعظ الحسنة وقواعد التهذيب المفيدة قد  
تبعث الغرائم في بعض الاحوال على القيام بصالح الاعمال ولكني لا اعتقد  
ان ما يلقيه الناشئون منها من افواه معلمهم في دروسهم يغير طباعهم تغييراً  
حقيقياً وهيئات اب اعول عليها في ذلك فاننا نرى كل يوم في المجتمع  
الانساني انساناً من الظرفاء الاكياس حفاة غلف القلوب على أنهم لم يحرموا  
من النصائح العامة الداعية الى التحاب والتراحم المرغبة في لذة الاتصاف  
بهما فما من فاسق او شرير او بخيل الا وقد سمع الف مرة من السنة  
الوعاظ قولهم «كن حكيماً مهذباً تكن عزيزاً مغتبطاً» (١) «لا تفعل بفيرك

(١) الحكمة واردة في امثال سليمان عليه السلام في التوراة بهذا النص وهو